نسب الادب

نشرت على جريدة المقتبس ١٦ صفر ٣٣٩ الموافق ٣٠ تشرين اول ٩١٩

يقال ان لحمة الادب اشد من لحمة النسب وذلك امر صحيح شهدت بصحته الوقائع وقامت التجارب دليلاً على اثباته فكم من قريبين اختلفت نفرهما وتباينت مشاربهما ولم تكن هناك جامعة ادب تضمهما فلم تقرب بينهما وشائج الرحم ولا صلات القربى وبعيدين في كل شيء جمعتهما وحدة الادب فنزل كل عند صاحبه بالمنزلة التي لا يدانيه غيره من الصداقة والمودة ذلك لان النفس تأنس باشباهها وتحن الى نظائرها بقوة يتلاشى امامها كل مدافع من الماديات وما وراء المادة اذ ان الادب غاية سامية فالنفوس التي تنشدها لا يضرها في محبة بعضها اختلاف الطرق لتلك الغاية

نحن اذا قسنا صلة الادب بصلة النسب وجدنا الاولى اعظم لان الولد وهو اقرب ما يكون من الوالد اذا لم يدرج من حجر ابيه ويترعرع في كنفه لم تعقد في نفسه عقد الحب اليه على انه كم من اديب احب اديباً من دون ان يراه وما اعظم الفرق بين هذه وتلك

قد تكلّش نفس الاديب من اقرب الناس اليه وتوصد في وجهه ابواب الكلام فلا يجد سبيلاً يتبلج منه الى مجاملته ولو باحاديث الاجواء والانواء فيرمى بالصلف والعنجهية او البلادة والعي وتنبسط امام قرين من قرنائه فيرسلها على سجيتها ويقبل عليه بوجهه وحديثه وينفسح له مجال الكلام فيتعمق به ويتناول اصنافه من جد وهزل ويود لو استبد به دون غيره حتى يرمى بالخفة والثرثرة ولو علم رامو السبب في ذلك (وما هو الا سبب الادب) لما انكروا من امره في ذلك شيئاً

على هاتيك الدعامة قامت المحبة بين عبد الحميد بن يحيى وبين عبد الله بن المقفع وهما على ما هما عليه من التباعد في الاصول والازورار في المشارب السياسية عربي وعجمي واموي وعباسي فلما ظهرت اصحاب عبد الله على اصحاب عبد الحميد غضاضة في الالتجاء اليه والاحتماء بحماه وكان من امر تقديرهما لبعضهما

ان فاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا ايكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفاً على صاحبه الى ان عرف عبد الحميد فاخذ .

وكذلك جمعت تلك الصلة بين مسلم شيعي ونصراني صابي هما الشريف الرضي نقيب الطالبيين ببغداد وابو اسحق الصابي صاحب ديوان الرسائل فلقد اخلص كل منهما لصاحبه بما ليس من ورائه غاية فلم يمنع الاول شرف آبائه وعلو منزلته وعزة نفسه وانه يشم رائحة الخلافة من لحيته من ان يقول للثاني في حياته :

لم تنضب عن سواد قلبي وان غبـ ... ـت معنى نوائب وصروف

وبعد مماته وقد وقذ احشائه فقده واقذى ناظريه بعده

ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي ... فلأنت اعلقهم يداً بفؤادي
لا در دري ان مطلتك ذمة ... في باطن متغيباً او بادي
ان الوفاء كما اقترحت فلا تكن ... حيا اذا ما كنت بالمزاد

وان يقف على قبره مستهل الادمع رابطاً بكفيه على قلبه ويقول مجيبا :

مطلنا تحيينا ما عيه انها ... عظام المساعي لا العظام البواليا
نزلنا اليه عن ظهور جيادنا ... نكفكف بالايدي الدموع الجواريا
وقفنا فارخصنا الدموع وربما ... تكون على سوم الغرام غواليا

ثم يخاطب صاحبه قائلا

كيف اشتياقك مذ نأيت الى اخ ... قلق الضمير اليك بالاشواق
امضى وتعطفني اليك نوازع ... بتنفس كتنفس العشاق

الى كثير مثل هذا الكلام المنفصل من اجزاء النفس واعماق القلب وما اكثر الشواهد على صحة قضيتنا وبالحاضر ما يستغني عن الغابر فما علينا بعد ما تقدم الا ان ننشر لواء الادب وننضوي اليه ليجمعنا وحدته وتواخي بيننا افاويقه فنصبح بنعمة اخوانا والسلام .